# القصيدة العينية لأبن سينا
# ( قراءة وتحليل )

الاستاذ المساعد الدكتور طه جزاع مزبان
مركز البحوث التربوية والنفسية
جامعة بغداد

**تقديم:**

شغلت النفس وقضاياها المتعلقة بطبيعتها , وجوهرها وبراهين وجودها , ومصيرها بعد مفارقتها البدن , الفلاسفة منذ أقدم العصور, واحتلت حيزاً مهماً من مؤلفاتهم ورسائلهم ومصنفاتهم المتنوعة في الفلسفة والادب, وكانت لهم فيها آراء ونظريات مختلفة(( فمنهم الماديون الذين اعتبروا النفس مجرد جسم لاميزة له ولا اختصاص , والروحيون الذين الهّوها وابعدوها عن عالم المادة , , ورأوا فيها قوة الهية روحية تهبط الى البدن من العالم العلوي , ومنهم من وقف موقفاً وسطاً , فجعلها مزاجاً بين الجسم والروح, أو بخاراً حاراً كما قال الرواقيون , أو صورة للجسم كما ارتأى ذلك أرسطو واتباعه ))[١] .

ووقف فلاسفة المسلمين على هذه الاراء وتباينت مواقفهم منها , ففرقة منهم تتكلم عن هبوط النفس , واخرى عن روحيتها , وثالثة تفضل العقل عليها, ورابعة تعتنق التناسخ مبينة كيفيته وغايته. علماً ان القرآن الكريم وردت فيه كلمة (روح) بمعنى الهي وكلمة (نفس) بمعنى انساني خالص. فقد استعملت كلمة روح بمعناها الالهي كما في الآيات : بسم الله الرحمن الرحيم

- (وأيدناه بروح القدس) (البقرة : من الآيتين ٨٧ , ٢٥٣ ) .
- (وكلمته القاها الى مريم وروح منه) (النساء : من الآية ١٧١) .
- (ينزل الملائكة بالروح من أمره) (النحل : من الآية ٢) .
- ( قل الروح من أمر ربي ) ( الاسراء : من الآية ٨٥ ) .

- ( يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ) (غافر : من الآية ١٥) .
- ( تعرج الملائكة والروح اليه ) ( المعارج : من الآية ٤ ) .
- ( يوم يقوم الروح والملائكة صفا) ( النبأ : من الآية ٣٨ ) .

ففي كل هذه الايات فأن الروح لاتدل على الروح أو النفس الانسانية , بل على كيان إلهي يتنزل من الله. وفي مقابل ذلك نجد كلمة (نفس ) تدل على معنى انساني خالص , وغالباً بمعنى ذات الانسان , ومبدأ الحياة فيه كما في الآيات : بسم الله الرحمن الرحيم

- ( ثم توفى كل نفس ما كسبت ) ( البقرة : من الآية ٢٨١ ) .
- ( لاتُكلف نفسٌ إلا وسعها ) ( البقرة : من الآية ٢٣٣ ) .
- ( وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ) ( المائدة : من الآية ٤٥ ) .
- ( ولا تكسب كل نفسٍ إلا عليها ) ( الانعام : من الآية ١٦٤ ) .
- ( يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ) (النحل : من الآية ١١١ ) .

ولهذا فأن كل نفس مائتة كما في الآيات :( وما تدري نفس بأي ارض تموت ) ( لقمان : من الآية٣٤ ) و ( كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون ) ( العنكبوت : ٥٧ ) .

والواقع ان الفلاسفة والمتكلمين المسلمين قد اختلفوا في قضية النفس , مثلما اختلف فيها فلاسفة اليونان , فمنهم من قال بروحانية النفس , ومنهم من يقدم الأدلة والبراهين على ماديتها وهناك من يقف موقفاً وسطاً بين هاتين النزعتين المتناقضتين .ومثل بقية الموضوعات الفلسفية , فأن ابن سينا في قضية النفس يغلب على آرائه طابع التوفيق بين الحكمة والشريعة , وبين تعاليم وفلسفة ارسطو الممتزجة بتعاليم افلاطون والافلاطونية المحدثة, وتعاليم الدين الاسلامي مع توسع في فهم النصوص القرآنية والابتعاد عن التزمت وعن التزام الحرفية[٢] شأنه في ذلك شأن أستاذه الفارابي واغلب الفلاسفة المسلمين, وان مال ابن سينا في فلسفته , وقضية النفس , أحياناً الى ارسطو الذي يرى ان الوحدة بين النفس والجسم شبيهة بالعلاقة بين ( الشمع والطابع المطبوع فيه ) وفي هذه الحالة , لاتوجد نفس منفصلة عن جسم , مادامت هي صورته , وبالتالي فأنها تفنى بفنائه , فأننا نجده – ابن سينا – يميل في مواقف

اخرى الى رأي افلاطون في ان النفس جوهر لامادي , قادر على الوجود بنفسه مستقلاً عن البدن , وفي هذه الحالة توجد النفس قبل الجسم الذي تحل فيه , وبعد انفكاك صلتها به , وهي خالدة لاتفنى بفنائه وسنجد هذا الموقف من الوهية النفس , واختلاف طبيعتها عن طبيعة الجسد, وخلودها, واضحاً في ابيات ( القصيدة العينية ) لابن سينا الذي يعد من اكثر فلاسفة الاسلام اهتماماً بقضية النفس , وكان له كتب فلسفية ومقالات واسعة فيها , عوضاً عن رسائله المستقلة في هذا الموضوع الذي يمثل جوهر فلسفته . ومن هذه الرسائل ( رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها ) و( اختلاف الناس في أمر النفس ) و ( بقاء النفس الناطقة ) و(تعلق النفس بالبدن) و( رسالة في علم النفس ) وغير ذلك من مؤلفات أو شروحات لكتاب أرسطو في النفس .

القصيدة العينية

هَبَطَت اليكَ من المحلَّ الأرفعِ ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنّعِ
محجوبةٌ عن كلّ مُقلةِ ناظرٍ وهي التي سفَرتْ ولم تتبرقعِ
وصلت على كرهٍ إليكَ , وربما كرِهت فراقك وهي ذات تفجُّعِ
أنِفتْ وما أنِست , فلما واصلت ألِفَت مُجاورةَ الخراب البَلقَعِ
و أظنُّها نَسيتْ عهوداً بالحمى ومنازلاً بفراقِها لم تقنعِ
حتى إذا اتصلت بهاءِ هبوطها في ميم مركزها بذات الأجرُعِ
عَلِقت بها ثاءُ الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلول الخُضَّعِ*
تبكي , وقد نَسيتْ عهوداً بالحمى بمدامعٍ تهمي وَلَما تُقْطعِ
وتَظَلُّ ساجعةً على الدَّمن التي دَرَستْ بتكرارِ الرياحِ الأربعِ
إذ عاقها الشرَّكُ الكثيف و صدَّها قفصٌ عن الأوجِ الفسيحِ المرُبعِ
حتى إذا قَرُبَ المسير الى الحمى ودَنا الرحيلُ الى الفضاءِ الأوسعِ
سجعت, وقد كُشفَ الغِطاءُ, فأبصرت ماليس يُدرَك بالعيون الهُجَّع

*هاء هبوطها , ميم مركزها , ثاء الثقيل ( اول حرف من هذه الكلمات دلالة على أول اتصال النفس بالبدن ) .

وغدت مفارقةً لكلَّ مخُلّفٍ عنها حليفِ الترب غير مُشَيَّعِ
وبَدَت تغرَّدُ فوق ذَروة شاهقٍ والعلمُ يرفَعُ كلَّ من لم يُرفَعِ
فَلأيَّ شيءٍ أهبطت من شامخٍ سامٍ الى قعرِ الحضيض الأوضعِ؟
إنْ كان أرسلها الالهُ لحكمةٍ طُويَّت عن الفَطنِ اللبيب الأروعِ

فهبوطُها إنْ كان ضَربةَ لازبٍ لتكونَ سامعةً بما لم تسمــعِ
وتعود عالمةً بكل خفيــةٍ في العالَمَيْنِ , فخِرْقُها لم يُرقـعِ
وهي التي قطع الزمانُ طريقَها حتى لقد غَربت بغيرَ المطْلَــعِ
فكأنها برقٌ تألّقَ بالحمــى ثم انطوى , فكأنه لم يَلْمــعِ

من الواضح في عينية ابن سينا هذه , إنه أخذ بمبدأ ان النفس مخالفة في طبيعتها للبدن , وانها لاتهلك بهلاكه , لذلك فأنه مضطر لأن يوجد لها مكاناً وحالاً بعد هلاك البدن . ويبدو انه قد تسلى في اول الامر بنظم هذه القصيدة التي جمع فيها رأي أفلاطون الى رأي أفلوطين(*) في هبوط النفس من عالمها العلوي الالهي الى العالم الارضي , ثم أتصالها بالجسد وبعد ذلك نفورها من هذا الجسد – السجن , وصولاً الى أطمئنانها لهذا الجسد مع مرور الايام وأعتيادها عليه, ثم يصف ابن سينا فرح النفس اذا هي فارقت البدن , وعادت الى عالمها الذي أُهبطت منه عنوةً ومن دون رغبة منها لـ( تعود عالمةً بكل خفيةٍ في العالَمين ) .

في هذه القصيدة يُشَّبه ابن سينا النفس بالورقاء ( الحمامة البيضاء) التب هَبَطت أو (أُهبطت) دون ارادتها على وجه الدقة من المحل الأرفعِ اي العالم الالهي , أو عالم المعقولات , عالم المثُل( الصورة العقلية ) – وفق التسمية الافلاطونية – وهي في حالة تعزز وتمنع بسبب شوقها للبقاء في عالمها العلوي , وكرهها للهبوط الى العالم الارضي المادي المحسوس, الذي هو بمثابة الشَرك أو القفص , وفي النفس جزء إلهي , وسر محجوب عن المعرفة والعارفين على الرغم من وضوح وجودها , ودلالاته , واشاراته ( وهي التي سفرت ولم تتبرقع ) , واذا كانت النفس قد حلت في الجسد على كره منها , الا ان اعتيادها عليه والفتها معه يجعلها تكره فراقه , وتحزن وتتفجع لهذا الفراق, مثل اعتياد الحمامة على القفص , ومثل اعتياد السجين على زنزانته وسجنه , ولطول المدة التي تقضيها النفس في الجسد,

* افلوطين( ٢٠٣- ٢٧٠ م) فيلسوف يوناني , من ابرز ممثلي الافلاطونية المحدثة التي تبلورت على يديه في مدينة الاسكندرية المصرية, تحدث عند ثنائية في النفس : نفس عليا اقرب ماتكون الى العقل وابعد ما تكون عن إحداث المحسوسات , ونفس دنيا اقرب ماتكون الى المحسوس , وبالتالي هي القادرة وحدها على إحداث كل الحوادث او الموجودات المحسوسة .

فأنها تألف شيئاً فشيئاً مجاورة المادة الفانية مع انها في البدء كانت تأنف من ذلك , ولم تستأنس اليه إلا بعد ان نسيت منازلها وعهودها في عالمها العلوي , وما تلبث ان تُثقل وتعلق بأدران المادة واطلالها وخرابها لكنها تبكي , وتسجع – سجع الحمام – طول الفصول والايام , وهي تشتاق لمنزلها الأول , الذي يصده عنه (الشَركُ الكثيف ) والقفص الذي وجدت نفسها بداخله, حتى إذا(كُشفَ الغطاءُ ) أبصرت ماليس يُدرك أويُبصر بالعيون, فأرتفعت الى( ذروةِ شاهقٍ ) مغردةً سعيدة بعودتها وخلاصها من الجسد , الذي بقي على الارض غير مُشيع ( غير مودع ) وهي تغادرهُ الى العالم الالهي, عالم العقول والانفس الصافية من علائق المادة الفانية .

وبعد هذه الرحلة المضنية للنفس , وهبوطها الى الارض , ودخولها الجسد ,واعتيادها عليه , ثم اشتياقها لعالمها الاول , وخلاصها من الجسد – القفص - , يتساءل ابن سينا عن السبب والحكمة التي تقف وراء ذلك كله ( فلأي شيء أُهبطت من شامخ سام الى قعر الحضيض الأوضع ) ؟ فأن كان هبوطها من أجل ان تكون سامعةً بما لاتسمع , أو تعلم بما لاتعلم , وتطلع على كل خفية أو سر في العالمين العلوي والارضي , فأن ذلك كله لم يرقع خرقها , وها هي قد غابت وغربت وغادرت بعد أنقضاء تجربتها المريرة مع الجسد وعالم الخراب والفناء و ( كأنها برقٌ تألق بالحمى ثم أنطوى , فكأنه لم يلمع ) !! وكأن وجودها في الجسد كان وجوداً عابراً وطارئاً , وسريعاً في بريقه وأنطفائه , سرعان ما انطوى وكأنه لم يلمع . ان إبن سينا يقف موقفاً صريحاً من الذين انكروا وجود النفس أو الذين عدوها عرضاً من أعراض الجسد , لذلك نجده يعيد ويكرر البراهين لأثبات حقيقة كون النفس جوهراً روحانياً لايفنى بفناء الجسد في الكثير من مؤلفاته , ومن أهم هذه البراهين مايلي :

١- البرهان الطبيعي

يقسم ابن سينا الحركة الى قسمين : الحركة القسرية , والحركة الارادية , والحركتان لاتصدران عن الجسم, فالأولى تصدر عن محرك خارجي يحركهُ , والثانية ( منها ما يحدث على مقتضى الطبيعة , كسقوط حجر من أعلى الى أسفل , ومنها مايحدث ضد مقتضى الطبيعة , كالأنسان الذي يمشي على وجه الارض مع ان ثقل جسمه كان يدعوه الى السكون , أو كالطائر الذي يحلق في الجو بدل ان يسقط الى مقره فوق سطح الارض,

وهذه الحركة المضادة للطبيعة تستلزم محركاً خاصاً زائداً على عناصر الجسم المتحرك,وهوالنفس)[٣] وفي الواقع اننا ( نشاهد أجساماً تحس وتتحرك بالأرادة , بل نشاهد أجساماً تتغذى وتنمو وتولد المِثْل وليس ذلك لها بجسميتها , فبقي ان تكون في ذواتها مبادئ لذلك غير جسميتها , والشيء الذي تصدر عنه هذه الافعال وبالجملة كل ما يكون مبدأ لصدور أفاعيل ليست على وتيرة واحدة عادمة للأرادة فأنما نسميه نفساً )[٤] وهذا البرهان أخذه ابن سينا عن أفلاطون وأرسطو .

٢- البرهان السيكولوجي

وهذا البرهان يستند الى الادراك ( ومن خواص الانسان انه يتبع ادراكاته للاشياء النادرة انفعال يسمى التعجب ويتبعه الضحك , ويتبع ادراكه للاشياء المؤذية انفعال يسمى الضجر ويتبعه البكاء ... وقد يتبع شعوره بشعور غيره أنه فعل شيئاً من الاشياء التي قد أجمع على انه لاينبغي ان يفعلها انفعال انساني يُسمى الخجل )[٥] ويمتاز الانسان ايضاً بالنطق واستخدام الاشارة ( وأخص الخواص بالانسان تصور المعاني الكلية العقلية المجردة عن المادة كل التجريد ... والتوصل الى معرفة المجهولات تصديقاً وتصوراً من المعلومات الحقيقية . فهذه الاحوال و الافعال المذكورة هي مما يوجد للانسان , وجلهُّا يختص به الانسان وان كان بعضاً بدنياً ولكنه موجود للانسان بسبب النفس التي للانسان التي ليست لسائر الحيوان)[٦] ألا يعني هذا ان للانسان المدرك قوة يتميز بها عن الكائنات غير المدركة ؟

ويلخص ابن سينا هذين البرهانين بقوله في (الاشارات والتنبيهات): القوى المحركة والمدركة والحافظة للمزيج شيء آخر لك ان تسميه بالنفس . وهذا هو الجوهر الذي يتصرف في اجزاء بدنك ثم في بدنك فهذا الجوهر فيك واحد وهو انت على التحقيق[٧] .

---

٣- برهان الاستمرار

يقارن ابن سينا بين النفس والجسد , ويلاحظ ان الجسد عرضة للتغير والتبدل والزيادة والنقصان ومركب من أجزاء عرضة للعوامل نفسها , أما النفس فأنها ثابتة باقية على حالها

( تأمل أيها العاقل في إنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداًفي جميع عمرك حتى انك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك , فأنت اذن ثابت مستمر

لاشك في ذلك , وبدنك وذاته ليس ثابتاً مستمراً , بل هو دائماً في التحلل والانتقاص , ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه... فتعلم نفسك ان في مدة عشرين سنة لم يبقى شيء من أجزاء بدنك , وانت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة , بل جميع عمرك , فذاتك مغايرة لهذا البدن واجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب , فأنَّ جوهر النفس غائب عن الحس والاوهام )[٨] .

٤ – وحدة النفس وبرهان ( الأنا )

ان النفس محل المعقولات , وهذا ( الجوهر الذي هو محل المعقولات ليس بجسم ولا هو قائم بجسم على انه قوة فيه او صورة له بوجه )[٩] ويفرض ابن سينا صورة معقولة في نقطة من الجسم غير منقسمة ويبين ان ذلك مُحال . ثم يفرض هذه الصورة المعقولة في شيء منقسم فإذا انقسم هذا الشيء انقسمت الصورة أيضاً الى جزئين متشابهين أو غير متشابهين ( فان كانا متشابهين , فكيف يجتمع منها ما ليس بهما ، وان كانا غير متشابهين فكيف يمكن ان تكون للصورة المعقولة اجزاء غير متشابهة ؟ )[١٠] فيجب ان يكون محل الصور المعقولة جوهرٌ ليس بجسم وغير قابل للقسمة , ولو كان غير ذلك للَحِق الصورة مايلحق الجسم من الانقسام . ولهذه النفس وظائف مختلفة , لكنها تظل واحدة على الرغم من تعدد هذه الوظائف انه يجب لهذه القوى – الشهوانية والغضبية والمدركة – رباط يجمع بينها كلها , وتكون نسبته الى هذه القوى نسبة الحس المشترك الى الحواس ... فأنا نعلم ان هذه القوى يشغل بعضها بعضاً ويستعمل بعضها بعضاً , وهذا الشيء لايجوز ان يكون جسماً , ولا اعتراض على ان النفس غير جسم .

يقول ابن سينا في رسالته المسماة( رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها ) : ( ان الانسان يقول أدركت الشيء الفلاني ببصري وأشتهيته أو غضبتُ منه , وكذا يقول : أخذت بيدي , ومشيت برجلي , وتكلمت بلساني , وسمعت بأذني , وتفكرتُ في كذا وتوهمته , وتخيلته , فنحن نعلم بالضرورة ان في الانسان شيئاً جامعاً يجمع هذه الادراكات , ويجمع هذه الافعال , ونعلم أيضاً بالضرورة أنه ليس شي من اجزاء هذا البدن مجمعاً لهذه الادراكات والافعال : فأنه لايبصر بالاذن , ولايسمع بالبصر , ولايمشي باليد , ولايأخذ بالرجل , ففيه شيء مجمع لجميع الادراكات والافاعيل .فأذن

الانسان يشير الى نفسه بـ(أنا) مغاير لجملة أجزاء البدن , فهو شيء وراء البدن )[١١] .

٥- برهان الانسان المعلق في الهواء (الانسان الطائر)

وهو من البراهين الطريفة التي قدمها ابن سينا لأثبات وجود النفس, وهو شديد الشبه ببرهان ديكارت الشهير الذي عبر عنه بقوله ( أنا افكر اذن أنا موجود ) . يقول ابن سينا ( ارجع الى نفسك وتأمَّل هل اذا كنت صحيحاً ,بل وعلى بعض أحوالك غيرها بحيث تفطن للشيء فطنة صحيحة هل تغفل عن وجود ذاتك ولا تثبت نفسك. ما عندي ان هذا يكون للمستبصر حتى ان النائم في نومه والسكران في سكره لايصرف ذاته , وان لم يثبت تمثله لذاته في ذكره . ولو توهمت ان ذاتك قد خُلقت أول خلقها صحيحة العقل والهيئة , وفُرض انها على جملة من الوضع والهيئة لاتبصر اجزاءها ولاتتلامس اعضاؤها , بل هي منفرجة ومعلقة لحظة مافي هواء طلق , وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت إنَّيتَّها ويقول في كتاب( الشفاء ) : يجب ان يتوهم الواحد منا ( اي يتخيل ) كأنه خُلق دفعةً وخلق كاملاً , ولكنه حُجب بصره عن مشاهدة الخارجات , وخُلق يهوي في هواء أو خلاء هوياً لا يصدمهُ فيه قوام الهواء صدماً ما يحوج الى ان يُحس , وفُرَّق بين اعضائه فلم تتلاق ولم تتماس[١٢] .

ثم يتأمل أنه هل يثبت وجود ذاته , ولا يشك في اثباته لذاته موجوداً ولايثبت مع ذلك طرفاً من أعضائه , ولا باطناً من أحشائه ولاقلباً, ولا دماغاً ولا شيئاً من الاشياء من خارج , بل كان يُثبت ذاته ولايثبت لها طولاً ولاعرضاً ولاعمقاً , ولو انه أمكنه في تلك الحالة ان يتخيل يداً أو عضواً آخر لم يتخيله جزءاً من ذاته ولا شرطاً في ذاته . وانت تعلم ان المثبت غير الذي لم يُثبت والمقر به غير الذي لم يُقر به . فأذن , للذات التي أُثبت وجودها خاصية على انها هو بعينه ( اي الانسان بعينه ) غير جسمه وأعضائه التي لم تثبَت . فأذن المثبِت له سبيل الى ان يثبته , على وجود النفس شيئاً غير الجسم , بل غير جسم , ولأنه عارف به, مستشعر له[١٣] .
عوضاً عن هذه البراهين فأن لابن سينا براهين اخرى في اثبات ان النفس جوهر روحاني , قائم

بنفسه , غير محتاج في قوامه الى مادة , وهو موجود فعلاً مستقل عن البدن , ومن ذلك :

- ان ادراكنا للمعقولات ( الصور المجردة ) التي لاتُدرك بالحواس أصلاً ( اسماء المعاني : الشرف , الخير , النبوة , جمع الاعداد وتفريقها .. ألخ ) يدل على اننا ادركناها بشيء من جنسها وليس بحواسنا ( لأن حواسنا لاتدرك الا المحسوسات المادية والماثلة أمامنا) فيجب ان يكون قد ادركناها بنفسنا , ولذلك كانت انفسنا روحانية مثل تلك المعقولات التي ادركناها .
- ان الحواس تدرك اشياء قليلة ( معدودات محدودة وموجودة في نطاق معين ) بينما نحن ندرك بالنفس معقولات لاحصَر لها ولاحدود لها : اننا نبصر جبلاً صغيراً أو جزءاً من جبل أو عدداً معيناً من النجوم , ولكننا ندرك بالنفس مدى البحر وعِظَم الجبل , وعدد النجوم الذي لايُحصى .
- ان الحواس لاتدرك إلا صور الموجودات الحاضرة , بينما النفس تحفظ صور الاشياء بعد ان تغيب الاشياء عن حواسنا , فمحل هذه الصور المعقولة اذن, بعد غيابها عن الحواس, ليس في عضو معين.
- ان حواسنا الخمس تضعف عادةً اذا ضَعُفَت أعضاوها بالهرم أو المرض ( فالسمع يخف اذا تعرضت الاذن لعاهة , والبصر يكل عادةً بالتعب , أو المرض , أو مع تقدم السن ) أما الادراك بالنفس الناطقة ( أي بالعقل ) فلا يضعف ضرورةً مع المرض أو الهرم , بل ربما زاد وقوي[١٤] .

لقد جمع ابن سينا في نظرية النفس آراء الفلاسفة الى اصول الدين , فأقتبس من أرسطو حدوث النفس , ومن أفلاطون خلودها , وضم الى ذلك شيئاً من تصوف الشرق ومذاهب الهنود[١٥] وان النفس عنده هي مبدأ الافعال الحركات , وان هذه الافعال , اما ان تكون نباتية, واما ان تكون حيوانية , واما ان تكون انسانية , لذلك انقسمت النفس الى ثلاث نفوس هي ( النباتية والحيوانية والانسانية ) فالنباتية هي كما أول لجسم طبيعي آلي من جهة مايتولد ويربو ويتغذى , فالقوة النباتية اذن ثلاث ( المولدة والمنمية والغاذية ) وهي موجودة في النبات و والحيوان , والانسان .

اما النفس الحيوانية فهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من حهة مايدرك الجزئيات , ويتحرك بالإرادة , وهي موجودة في الحيوان والانسان , وتنقسم النفس الحيوانية الى قوتين المحركة,والمدركة, فالمحركة مبدأ الافعال , والمدركة قوة الاطلاع على العالم الخارجي , وتنقسم الاولى الى قوة باعثة , وقوة فاعلة , فالباعثة هي القوة النزوعية, والشوقيةَ , ولها شعبتان , القوة الشهوانية , والقوة الغضبية , اما الفاعلة فهي تجذب الاوتار العصبية , وترخيها أو تمدها , وهي تطابق ما نسميه اليوم بالنزعات , والحركات والافعال . واما القوة المدركة فانها تنقسم ايضاً الى قوتين , قوة تدرك ادراكاً خارجياً , وقوة تدرك ادراكاً باطنياً , فالادراك الخارجي يكون بالحواس الخمس وهي السمع , والبصر , والشم , والذوق , واللمس , وحاسة اللمس حاسة مركبة لانها جنس لأربع قوى منبثقة في الجلد , فالاولى قوى ادراك التضاد بين الحار والبارد . والثانية حاكمة في التضاد بين اليابس والرطب , والثالثة حاكمة بالتضاد بين الصلب واللين , والرابعة حاكمة في التضاد بين الخشن والأملس .

وأما الادراك الباطني فهو اما أن يكون ادراكاً لصور المحسوسات , واما ان يكون ادراكاً لمعانيها , والفرق بين ادراك الصورة , وادراك المعنى ان الصورة هي الشيء الذي تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معاً , ولكن الحس الظاهر يدركه اولاً ثم يؤديه الى النفس , مثال ذلك ان العين تدرك صورة الحصان, أي شكله , وهيئته , ولونه , ثم تؤدي ذلك الى الحس الباطن , واما المعنى فأن النفس تدركه من غير ان يدكه الحس الظاهر اولاً . ومثال ذلك إدراكنا لمعنى الحصان , وحدوث مفهومه في النفس ,ان هذا الادراك مستقل عن الحس الظاهر , فمن القوى التي ندرك بها ادراكاً باطنياً داخلياً قوة الحس المشترك , وهي قوة مرتبة في أول التجويف المقدم من الدماغ , تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمس ويشبه ان تكون هذه القوة مطابقة لما نسميه اليوم إدراكاً . ومن القوى الباطنة قوة الخيال أو المصورة , وهي قوة مرتبة في آخر التجويف المقدم من الدماغ, تحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس الجزئية , وتبقى فيه بعد غياب المحسوسات , لان قوة القبول غير قوة الحفظ , ومنها القوة المتخيلة, وهي قوة مرتبة في التجويف الاوسط من الدماغ , من شأنها ان تركب بعض مافي الصور

مع بعض , وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار , ومنها القوة الوهمية , وهي مرتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ , تدرك المعاني غير المحسوسة , ومنها القوة الحافظة أو الذاكرة , وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ماتدركه القوة الوهمية , ونسبة القوة الحافظة الى الوهمية كنسبة القوة التي تسمى مصورة الى الحس المشترك , فالحافظة تحفظ المعاني, والمصورة تحفظ الصور .

اما النفس الانسانية فهي النفس الناطقة وهي تنقسم الى قوتين : القوة العاملة , والقوة العالمة , وكل قوة من هاتين القوتين تسمى عقلاً , فالعاملة هي العقل العملي , والعالمة هي العقل النظري .

ان تصنيف ابن سينا لقوى النفس مختلف عن تقسيم أرسطو الذي قسمها الى اربعة أقسام هي ( الغاذية , والحاسة, والمحركة , والناطقة ) اذ ان ابن سينا جمع الحاسة والمحركة في قوة واحدة اطلق عليها اسم النفس الحيوانية , وصارت النفوس عنده ثلاثاً كما هي عند افلاطون , فالنباتية والحيوانية موازيتان للشهوانية والغضبية , والانسانية مطابقة للناطقة , فتصنيف ابن سينا للنفس هو مزيج من تصنيف أرسطو وافلاطون , ويمكن تلخيص ما تقدم من قوى النفس عند ابن سينا وفق الترتيب التالي[١٦] .

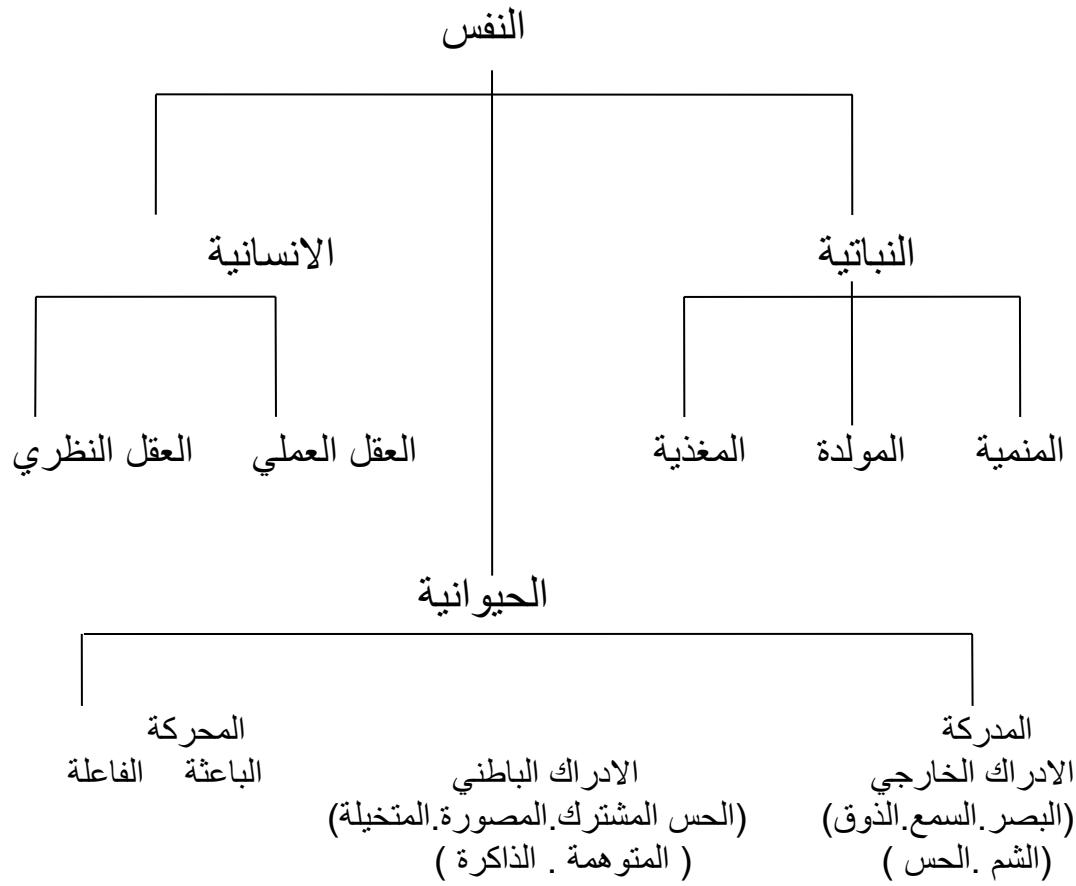


لقد وقف ابن سينا من قضية النفس ومن خلودها , مواقف قد تبدو متناقضة مثلما بدى ذلك واضحاً في القصيدة العينية , تناقض مابين فلسفته الأرسطية لكونه من أكبر الفلاسفة المشائين المسلمين , وهي فلسفة طبيعية مادية , وما بين فلسفة افلاطون المثالية التي اغرم بها هؤلاء الفلاسفة حتى اطلقوا على افلاطون اسم الالهي لانهم وجدوا ان فلسفته أقرب الى روح دينهم من فلسفة أرسطو , وهكذا نجد ان ابن سينا قد أخذ من أرسطو مايعينه في تقسيم قوى النفس المادية لكنه مال لافلاطون في قضية خلودها وعدم فنائها بفناء الجسد , وذلك ضمن السياق العام لفلاسفة الاسلام في التوفيق والانسجام مابين الفلسفة والدين الاسلامي .

# الهوامش والمصادر والمراجع

١- ابـراهيم مـدكور, فـي الفلسـفة الاسـلامية, مـنهج وتطبيـق, القـاهرة١٩٤٧, ص١٥٣.
٢- عبد الرحمن مرحبا : من الفلسفة اليونانيـة الـى الفلسـفة الاسـلامية منشـورات عويدات , بيروت , باريس ١٩٨١ ,ص٤٨٣ .
٣- ابراهيم مدكور, المصدر السابق ,ص١٧٢ .
٤- ابن سينا , الشفاء(علم ى النفس),طبعة يان باكوش , براغ ١٩٥٦, ص٩.
٥- المصدر نفسه ص٢٠٤.
٦- المصدر نفسه ص٢٠٣.
٧- ابن سينا , الاشارات والتنبيهات ,القاهرة ١٣٢٥هـ ,ص١٢٨.
٨- ابن سينا , رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها , القاهرة ١٩٤٣,ص٧.
٩- ابن سينا ,الشفاء , المصدر السابق , ص٢٠٦ .
١٠- المصدر نفسه , ص٢٠٨- ٢٠٩ .
١١- محمـد قاسـم , فـي الـنفس والعقـل لفلاسـفة الاغريـق و الاسـلام ,القـاهرة ١٩٤٩,ص٨٢ .
١٢- ابن سينا, الاشارات والتنبيهات ,المصدر السابق ,ص١٢١ .
١٣- ابن سينا , الشفاء , ( المنطق) , القاهرة ١٩٥٣ , ص١٨- ١٩ .
١٤- عمـر فـروخ , الفكـر الفكـري العربـي , دار العلـم للملايين,بيـروت ١٩٦٦,ص٢٣٥-٢٣٦.
١٥- جميـل صـليبا , مـن افلاطـون الـى ابـن سـينا , ( د.ت) ط٤, دار الانـدلس , بيروت، ص١٢٢.
١٦- المصدر نفسه , ص١٢٣ .
١٧- الاب جورج شحاته قنواتي , مؤلفات ابن سينا , القاهرة ١٩٥٠ .
١٨- عبد الرحمن بدوي , الموسوعة الفلسفية , المؤسسة العربية للدراسات والنشـر بيروت ١٩٨٦ .